المبحث الثاني

الحرب الأهلية

بانتهاء الدور السوفييتي في المنطقة وتقلص نفوذه في الشرق الأوسط، وتخلي السوفييت عن حلفاءه العرب، ساد العالم فوضى النظام العالمي الجديد وفي محصلته قيادة أمريكا للعالم وأن يكون القرن الحادي والعشرين القرن الأمريكي دون منازع. وفي هذا السياق يرى د. لاري جودسون أستاذ العلوم السياسية في الجامعة الأمريكية بواشنطن، أن الولايات المتحدة تنظر إلى الهند على أنها حجر الزاوية للاستراتيجية الأمريكية في جنوب آسيا لما تمثله من ثقل في مواجهة الصين، في حين يقول "أشوك أجاروك" وهو خبير في السياسة الأمريكية في جامعة (جواهر لال نهرو) في نيودلهي أن الخوف من خطر إسلامي هو الذي يتحكم أساساً بالسياسات الدولية للولايات المتحدة[1].

في الجانب الآخر، سبب التدخل السوفييتي في أفغانستان، ونتيجة للمعارك وأعمال القصف الجوي التي طالت معظم المدن من هجرة قرابة خمسة ملايين أفغاني إلى مناطق أكثر أمناً، وبخاصة في مناطق باكستانية مثل بيشأور وكويتا (عاصمة إقليم بلوجستان)[2]، حيث لم تتمكن معظم العوائل الأفغانية من إرسال أبناءها إلى المدارس بسبب ضعف الحالة المادية، مما أجبرهم على الانخراط في مدارس دينية تدار من قبل جمعية علماء الإسلام الباكستانية.

إن ما تركز عليه هذه المدارس يعود بالدرجة الأساس إلى تنمية البناء الإيدلوجي واعتقاده الجازم أن هناك قوى شريرة في العالم تريد بالإسلام شراً، وأن هناك إهانات

---

(١) ثامر كامل محمد، عاصفة الأبراج، بيت الحكمة، العدد ٢٩، بغداد، ٢٠٠٢، ص١٤.

(٢) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص٥٣.

لكتاب الله (القرآن) وإن كثير من المسلمين مشردين ويقتلون أحياناً بأيدي أجنبية وأحياناً بأيدي مسلمة ظالمة مما ولد لدى الدارسين سخطاً على كل محتل أو من يمت للمحتل بصلة[1] في العام ١٩٩٢، وبعد أن تخلى الرئيس الأفغاني نجيب الله عن الحكم، دخلت مجموعات المقاومة السبعة إلى العاصمة كابل، ولكن سرعان ما ظهرت الخلافات بينهم[2]، مما أدى إلى نشوب حرب أهلية بين هذه المجموعات أدت إلى تدمير ما تبقى من بنية تحتية يمكن أن تعيل المواطن الأفغاني في حياته البسيطة، وأجملت الخسائر البشرية بحدود أربعين ألفاً، الأمر الذي جعل أهالي أفغانستان وهم ينظرون إلى حالات الفساد الأخلاقي، وابتزاز أموال الناس، وغياب الأمن، والفوضى، أن يذكروا الله في كل صلاة ويدعون بالخير لما كان عليه حكم نجيب الله مقارنة بحكم برهان الدين رباني وأعوانه[3].

كان البلد مقسماً بين زعماء الحرب الذين عادوا من بيشأور، فكانت كابل تحت سيطرة الطاجيكي برهان الدين رباني، وثلاث محافظات بما فيها هيرات كانت تحت سيطرة اسماعيل خان، أما في الشرق، وعلى مقربة من الحدود الباكستانية، فأعلنت ثلاث محافظات بشتونية أنها مستقلة وتحت سيطرة مجلس شورى المجاهدين

---

(١) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص٥٣.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٤، **Ahmed Rashid, Taliban, op.cit, p. 21**.

(٣) اعتبر البشتون، أنه ومنذ أكثر من ٣٠٠ سنة، لم يفقدوا السيطرة على حكم كابل، وأن الحكم يجب أن يعود لهم لوحدهم.
في السابع من آذار ١٩٩٣ دعى ملك السعودية فصائل المقاومة للاجتماع في مكة وأقسم المشتركون أن يكون رباني رئيساً للدولة وحكمت يار رئيساً للحكومة ولم يطبق القرار القرارواستمر القتال.
إحسان حقي، المصدر السابق، ص٢٤٧.

الذين يتخذون من جلال آباد مقراً لهم، وإلى الجنوب وشرق العاصمة كابل، فقد أعطيت إلى قلب الدين حكمت يار[1].

في شمال البلاد، كان الأوزبكي الجنرال عبد الرشيد دوستم هو الآخر يحكم ست محافظات، إلا أنه في كانون الثاني ١٩٩٤ تحالف مع حكمت يار للاستيلاء على العاصمة كابل ناقضاً الاتفاق مع برهان الدين رباني. أما وسط البلاد مقاطعة باميان فكانت من حصة (الهزارة).

قندهار معقل البشتون وجنوبها، قسمت هي الأخرى بين اثنا عشر من زعماء مجموعات المقاومة السابقين، إن هذا الوضع قد أدى إلى تأزم الموقف مع باكستان التي كافحت لفترة طويلة وأثناء الغزو السوفييتي لإيجاد حكومة صديقة على حدودها[2].

يذكر الملا محمد عمر، الذي قاتل السوفييت في السنتين الأخيرتين وأصيب في عينه اليمنى، أنه زار الطلاب في المدارس الدينية، وكان معهُ أربعة عشر طالباً، فخطب فيهم «إن دين الله يداس تحت الأقدام، والناس يجاهرون بالفسق، وأهل الدين يخفون دينهم، وقد استولى الفسقة على المنطقة كلها، يسلبون أموال الناس ويتعرضون لأعراضهم على الطرق العامة، يقتلون الناس ثم يسندونه إلى حجر على قارعة الطريق، وتمر به السيارات، ويرى الناس الميت ملقى على قارعة الطريق ولا يجرؤ أحد أن يواريه التراب»[3].

---

(1) op. cit, p. 21.

(2) Ahmed Rashid, op. cit, p. 21.

(٣) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص٥٦.

ثم ازدادت أعداد طلبة المدارس المستعدين لإنقاذ بلدهم إلى أن وصل العدد إلى ثلاثة وخمسين، وعقد اللقاء في قرية "كشدنخود" يوم الجمعة ١٤١٥/١/١٥ هجرية الموافق ١٩٩٤/٦/٢٤، وكان يوم تأسيس حركة طالبان[١].

إن تأسيس الحركة لم يكن خارج السياق التي اعتادت الحركات الوطنية في أفغانستان أن تجنح إليه في طريق كفاحها ضد المحتل، وفي الجانب الآخر فإن الولايات المتحدة (الحليف القوي لباكستان) قد تشأورت معها لترتيب البيت الأفغاني بما يتناسب مع مصالح البلدين، فالباكستان تتطلع إلى وجود حكومة صديقة مستقرة توفر عمق لها أمام الهند، وتكون سوق لتصريف المنتج الباكستاني وكذلك في أسواق آسيا الوسطى[٢]. أما أمريكا فما يهمها بعد خروج السوفييت من أفغانستان أن ينتهي الإسلام الأصولي المتمثل بالأحزاب الجهادية وتشويه صورة التجربة التي ظهرت في إيران تحت حكم (الخميني) ومنع انتشار ذلك لما فيه من تهديد لمصالح أمريكا.

فحركة طالبان ظهرت بدعم سياسي باكستاني ودعم أمريكي، وبين رئيس جهاز الاستخبارات الباكستاني السابق الجنرال "حميد جل" بقوله أن حركة طالبان نبتة مشتركة أمريكية/ باكستانية زرعت في أفغانستان، وهو بذلك يشير إلى الجولة التي قام بها وزير الداخلية الباكستانية نصر الله بابر في شهر تشرين أول ١٩٩٤ والتقى فيها مع القادة الميدانيين في ولايات قندهار وصولاً إلى هيرات، وبعد عودته إلى إسلام آباد أرسل ثلاثين شاحنة محملة بالمساعدات ومواد الإغاثة لأفراد الحركة التي تعمل بتوجيه حكومة إسلام آباد[٣].

---

(١) تعني كلمة طالبان، في لغة الباشتون أو الباتان الطلاب الدارسين في المدارس الدينية، وهي إحدى العلاقات المميزة للتعليم الإسلامي في شبه القارة الهندية، وقد أسهمت عبر تاريخها في الحفاظ على الهوية الدينية لمسلمي المنطقة، يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص٥٣.

(٢) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص٥٤.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٥.

تم اختيار الملا محمد عمر[1] كزعيم لحركة طالبان، ليس لأنه خبير عسكري أو سياسي مفوه، بل لكونه يتمتع بخصائص منها تواضعه الجم، إسلامهُ، وإيمانه بالله، بايعه أتباعه، وبايع أتباعه في الحرية والسلطة لمعالجة مشاكل الناس.

لم يكن آباء الطلاب الذين يبعثون أبناءهم مع الملا محمد عمر يريدون مغامرات جديدة، ولكنهم كانوا يسمعون ويشاهدون ما يفعله لأجل الإسلام، وأفغانستان الذي تحول إلى ضحية بين ذئاب زعماء الحرب وأتباعهم. ففي ربيع ١٩٩٤ جاء جيران الملا عمر في (سنغسار) يبلغونه أن أحد القادة المحليين خطف فتاتين مراهقتين وحلقوا لهما شعرهما ونقلهما إلى معسكره واغتصبهما مراراً، فما كان من الملا إلا أن جمع حوله ثلاثون طالباً مسلحين بستة عشر بندقية فقط، هاجموا المعسكر وحرروا الفتاتين وأعدموا القائد على مدفع دبابة وعادوا بأسلحة وذخيرة[2].

في الثاني عشر من شهر تشرين أول ١٩٩٤، تمكن مائتان من حركة طالبان من مهاجمة موقع (سبن بولدك) على الحدود الأفغانية مع باكستان، كانت الشاحنات محملة بالبضائع، ولا يسمح لها بالمرور بسبب كون الطريق المار إلى أفغانستان تحت سيطرة قلب الدين حكمت يار. نظمت مجموعة طالبان نفسها إلى ثلاث مجموعات وهاجمت معسكر حكمت يار، وبعد فترة قصيرة من المناوشات تمكنت من قتل سبعة وجرحت أعداد أخرى، فيما خسرت الحركة عنصر واحد من رجالها وتمكنت

---

(١) عمره ٣٩ سنة، لم يصور سابقاً، أو تقابل مع محطة تلفزيون غربية، كان أول لقاء مع الممثل الخاص للأمم المتحدة إلى أفغانستان الأخضر الإبراهيمي، بسبب مشاكل مع إيران، عاش في مقاطعة قندهار، وزار العاصمة كابل مرتين. ولد الملا محمد عمر عام ١٩٥٩ في قرية نوده قرب قندهار من عائلة فقيرة، بشتوني. فقد إحدى عينيه خلال الفترة من ١٩٨٩–١٩٩٢ مع قوات نجيب الله، وجرح ثلاث مرات. انتقل إلى قرية (سنغسار) في مقاطعة (ميأوند) التابعة لمحافظة قندهار، وأصبح إمام جامع القرية، فتح مدرسة دينية صغيرة لتدريس أبناء القرية، كان عضو في الحزب الإسلامي انه مؤدب، وخجول في تعامله مع الناس. **Ahmed Rashid, op. cit, p. 24**.

(2) Ahmed Rashid, op. cit, p. 25.

قوة طالبان من الاستيلاء على ما مجموعهُ ثمانية عشر ألف بندقية كلاشنكوف وإثني عشر قطعة مدفعية وعدد كبير من الذخائر، وعدة عجلات[١].

وبمرور الوقت تمكنت حركة طالبان من السيطرة على المدن والمقاطعات، وازداد عدد مقاتليهم إلى خمسة آلاف، وعشرة آلاف، ثم عشرين ألف من أفغانستان ومدارس باكستان وبأعمار ما بين ١٤–٢٤ عاماً، وخلال ثلاثة أشهر كانت حركة طالبان تسيطر على إثني عشر مقاطعة من أصل إحدى وثلاثين[٢].

في ٥ تشرين الثاني ١٩٩٤ تحركت مجموعات مسلحة من حركة طالبان لمهاجمة قندهار، وكان الملا (نقيوب) في داخل المدينة، وتحت إمرته أكثر من ألفين وخمسمائة مقاتل، بيد أن أحد مساعديه قد ادعى أن الاستخبارات الباكستانية قدمت رشوة للملا (نقيوب) لإخلاء قندهار مقابل إعادته مرة ثانية للقيادة، إلا أن مجموعات من حركة طالبان التي تمكنت من السيطرة على قندهار قد طردته واستولت على إثني عشر دبابة، وعدد من العجلات المدرعة، ست طائرات (MIG–21) وست طائرات مروحية كانت متروكة من أيام الغزو السوفييتي، فيما حين سقط أكثر من خمسين قتيلاً خلال أربعة أيام من المعارك[٣].

احتفلت إسلام آباد بسقوط مدينة قندهار بيد طلاب العلوم الإسلامية (أصحاب العمائم البيضاء)، مما جعل وزير الداخلية الباكستاني يعترف أمام جمع من الصحفيين أن هؤلاء الطلاب هم أولادنا مما أثار احتجاج الحركة، فيما بعد، وأعلنوا أنهم حركة مستقلة، ولا مجال لدخول عجلات الشحن الباكستانية إلى أفغانستان ما لم تدفع رسوم إلى الحركة. وفي هذا فقد أبدى الملا (كهيوص) في السادس عشر من تشرين الثاني ١٩٩٤ امتعاضه عندما أرسلت باكستان شاحناتها عبر أفغانستان[٤].

---

(١) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص٥٧، I, bid, p. 28.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٧، I bid, p. 30.

(3) Ahmed Rashid, op. cit, p. 29.

(4) I. bid, p. 29.

توالت الضغوط الداخلية والخارجية على رئيسة الوزراء (بنازير بوتو) حول دعمها لحركة طالبان، ففي شباط ١٩٩٥ وفي خلال زيارتها إلى الفلبين، «أجابت أن باكستان لا تستطيع منع المتطوعين من الالتحاق بحركة طالبان، وليس لنا عداء مع الرئيس برهان الدين رباني، كما أن للأفغان عوائل داخل أفغانستان هم بحاجة إلى الزيارة»[١].

تمكنت حركة طالبان من كسب ود وتعاطف الناس في داخل أفغانستان لما أظهروه من عدل واستقامة ومحاسبة أمراء الحرب الذين سلبوا أموال الناس في الطرقات واغتصاب الفتيات، إلا أن ذلك لم يمنحهم الأفضلية في تعاملهم مع دول الجوار بما فيها باكستان عندما أصدر الملا عمر أوامره بغلق مدارس البنات ومنع المرأة الأفغانية من العمل خارج البيت، وحظر الموسيقى في المحلات التجارية والفنادق والسيارات، وخطر اللعب بالطيارات الورقية من قبل الأولاد، وإجبار الرجال على عدم حلاقة اللحى، ومنع تربية الحمام واللعب بالطيور، حيث اعتبرتها دول الجوار مقيدة لحرية الفرد، واستغلتها فيما بعد لتشويه قادتها.

أما دول الغرب بما فيها الولايات المتحدة التي سعت لإيجادها فقد رأت أن الملا محمد عمر يريد أن يحكم كما كان الخلفاء الراشدين في القرن السابع الميلادي[٢].

معركة هيرات ١٩٩٥:

مقاطعة هيرات المحاذية لإيران، كانت الهدف الآخر لحركة طالبان بعد الانتهاء من قندهار (معقل البشتون)، فهي تحت إمرة اسماعيل خان. ويفصلها طريق طويل عن قندهار بمسافة ٥٨٤ كم.

استغلت حركة طالبان الوضع الناجم في كره الناس لحكام الولايات الذين جمعوا ثروة على حساب البسطاء من الأفغان، فتنادى أكثر من عشرين ألف أفغاني ومئات من طلاب مدارس باكستان الذين تخلوا عن معسكرات اللاجئين للانضمام

---

(1) Ahmed Rashid, op. cit, p. 29.

(٢) يوسف الجهماني، المصدر السابق، ص٥٩؛ Ahmed Rashid, op. cit, p. 30.

إلى الملا عمر، كما أنضم الآلاف من الأفغان البشتون ممن أعمارهم لا تتجأوز (١٤–٢٤) سنة وهم من أبناء المخيمات الذين هجروا الخيام، وهم لا يعرفون كيف يستخدموا السلاح، ولكن كل الذي تعلموه هو القرآن، وحياة الرسول محمد (ص) والخلفاء الراشدين، ومبادئ الإسلام، والحرب التي دمرت بلادهم وعوائلهم وقتلت أحباءهم،[١] فتمكنت قوات طالبان التي ترفع العلم الأبيض المطرز بـ لا إله إلا الله محمد رسول الله من السيطرة على أرزوكان، وزابل بدون قتال فيما أبدت محافظة هيلمند، وقوتها بإمرة (غفار اخوازاده) مقأومة عنيفة عندما اقتربت قوات طالبان، إلا أنها تمكنت عن طريق رشوة معأوني اخوازاده من السيطرة عليها في كانون الثاني ١٩٩٥.

في أواخر شباط ١٩٩٥ تمكنت حركة طالبان من التقدم نحو محافظة هيرات[٢] القريبة من الحدود الإيرانية، وبعد قتال عنيف تمكنت من احتلال محافظتي نمروز وفرح الذين خضعتا إلى أحد رموز الحرب إسماعيل خان المدعوم من إيران. وإلى الجنوب من هيرات تمكنت الحركة من السيطرة على القاعدة الجوية (شنينداد) مما أجبر القائد أحمد شاه مسعود من نقل (٢٠٠٠) الفيّ مقاتل من الطاجيك وهم جزء من قوة حماية العاصمة كابل والرئيس الطاجيكي (برهان الدين رباني) . ومع استمرار افراط قوات طالبان بالتقدم بمجموعات متباعدة عن بعضها البعض تكبدت خسائر كبيرة، وهي ما أشار إليها أحد قادة طالبان (صالح محمد) الذي قال إنه في نهاية آذار ١٩٩٥ أزيحت قوة طالبان من القاعدة الجوية وتراجعت عناصرها من المحافظات التي كسبتها

---

(١) المصدر السابق، ص٦٠، I. bid, p. 29–30.

(٢) بنيت المدينة قبل خمسة آلاف سنة. وخلال شهر آذار ١٩٧٩ تمكنت مجموعات من المتظاهرين في هيرات من قتل المئات من عوائل الضباط السوفيت، وبتعزيز الوجود السوفيتي بـ (٣٠٠) دبابة اندلعت اشتباكات في المدينة سببت إلى قتل الفين من المدنيين وهروب إسماعيل خان إلى إيران.
Ahmed Rashid, op. cit, p.40.

في شباط، تاركين خلفهم أكثر من ثلاثة آلاف قتيل ومئات الجرحى، وترك بعضهم في الصحراء ليموتوا من جراء نقص الطعام والماء والأدوية[1].

تمكنت قوات المعارضة (التابعة إلى برهان الدين رباني) في أيار ١٩٩٥ من أحكام السيطرة على ست محافظات قريبة من العاصمة كابل وشمالها، فيما تمكنت قوة إسماعيل خان من بسط سيطرتها على ثلاث محافظات أخرى في الغرب، مما قلص عدد المحافظات التي بقيت تحت سيطرة طالبان وأصبحت لا تتجاوز الثمانية بعد مرور أكثر من سنة على عملياتها المدعومة من الباكستان والسعودية.

اقتنعت الباكستان والسعودية إن حركة طالبان لا زالت تعاني من نقص واضح في الأسلحة والتدريب والذخيرة والأجهزة اللاسلكية والعجلات، كما أن القيادات الميدانية لم تظهر مهارة في إدارة العمليات، وهذا ما جعل الدولتين الداعمتين، وخاصة الباكستان من تطعيم قيادات الحركة الميدانية والقيادات العليا برجال الاستخبارات الباكستانية بغية تسهيل تداول المعلومات الاستخباراتية، وفي الجانب الآخر، أرسل الجنرال الأوزبكي عبد الرشيد دوستم عدد من الفنيين إلى مدينة قندهار لإصلاح عدد من الطائرات المقاتلة من طراز MIG_21 وطائرات الهليوكبتر.

ولغرض مواجهة تهديد قوات إسماعيل خان المدعوم إيرانياً، فقد زجت حركة طالبان قوة وصلت إلى (٢٥٠٠٠) مقاتل، وجلهم من المتطوعين الجدد للقيام بغارات وكمائن على طرق امداد قوات إسماعيل خان، مما أجبرهم على التقهقر إلى قاعدة (شيننداد) الجوية، ومدينة هيرات[2]، ومرة أخرى غادر المئات من أنصاره معقلهم ولجؤا إلى إيران خشية انتقام حركة طالبان من رموز مدينتهم، ومع اقتراب نهاية عام ١٩٩٥،

---

(١) في اليوم الثاني من حملة هيرات، ظهرت مجموعات شغب في مدينة كابل العاصمة، وحاصروا السفارة الباكستانية، ونهبوها ، وجرح السفير الباكستاني (قاضي هاميون)، فيما اتهم الرئيس برهان الدين رباني باكستان بأنها وراء محاولة اقصاؤه عن السلطة.

Angelo Rasanayagem, op.cit, p.149

(٢) Ahmed Rashid, op.cit, p. 40 ; Angelo Rasanayagam, op. cit, p.149.

وبالتحديد في شهر تشرين الثاني، فقد دخلت قوات الحركة مدينة هيرات واعتقلت المئات من مناصري إسماعيل خان، بانتظار نهاية الشتاء وتساقط الثلوج.

*** كابل ١٩٩٦**

وجه الملا عمر زعيم حركة طالبان الدعوة إلى المئات من رجال الدين للحضور إلى مدينة قندهار في ربيع عام ١٩٩٦. وبحلول يوم العشرين من آذار كان عدد الواصلين بحدود ألف ومائتي رجل دين، وقد جرت ضيافتهم في القلعة القديمة، فيما تبرع رموز من البشتون من أهالي المدينة بالمئات من البسط والسجاد الفاخر لنوم الضيوف.

ترأس الاجتماع الملا عمر، الذي رحب بالحاضرين، مذكرّهم أن هذا الاجتماع التأريخي إنما لبحث العمل المستقبلي، وشرعية قيادة الحركة التي تسيطر على ٦٥٪ من الأرض الأفغانية، وخلال المناقشات التي أثارها بعض علماء الدين ظهر أن هناك خط متشدد يدعو إلى استمرار مقاتلة حكومة برهان الدين رباني، فيما ذهب آخرون على تبني المفاوضات للوصول إلى حل سلمي دون إراقة مزيد من الدماء، معتقدين أن طالبان لا تستطيع احتلال كابل، كما لا يستطيع أحمد شاه مسعود من احتلال قندهار. وبعد مناقشات طويلة، قرر رجال الدين القندهاريين اطلاق لقب أمير المؤمنين أو قائد المؤمنين على الملا عمر ليعيدوا تسميتها بأمارة أفغانستان[١] كما كانت قبل عام ١٩١٩[٢]، ويفرضوا الجهاد على كل قادر على حمل السلاح لمقاتلة حكومة رباني، وخلال جهود وسيط الأمم المتحدة محمود المستيري، وجد أن حركة طالبان مستعدة للدخول في حوار مع حكومة رباني في إسلام آباد رغم اعلان الجهاد، وبعد مرور يوم

---

(١) بعثت الأمم المتحدة الوسيط محمود المستيري للتدخل في حل الأزمة بين حرة طالبان وحكومة برهان الدين رباني، وقال، أمضى مجلس الشورى في مناقشاته، الجانب السياسي ومستقبل العمل العسكري، وفرض قانون للشريعة لمنع النساء من التعلم في المدارس.
مصطفى الدباغ، الصراعات الدولية الراهنة، دار الفارس للنشر والتوزيع، ١٩٩٩، ص ٩٥.

(٢) **Angelo Rasanayagam, op. cit, p.204.**

واحد على ذلك الكلام، ظهر ما كان يتوقعه المستيري من تناقض أقوال قادة طالبان فقرر الاستقالة في أيار ١٩٩٦.

كان رد برهان الدين رباني على قرارات علماء الدين في قندهار أن عقد اجتماعاً موسعاً مع أمراء الحرب حول المناصب التي يزمع توزيعها في كابل، وعقد ممثله الدكتور عبد الرحمن لقاءاً منفرداً مع البروفسور قلب الدين حكمت ياريفي سيروبي، ولقاءاً آخر مع الجنرال عبد الرشيد دوستم في مزار شريف، ولقاءاً مع زعيم حزب الوحدة الشيعي كريم خليلي في منطقة باميان، وكان اجماع كل القادة على تأسيس مجلس مؤلف من عشرة أفراد لبدء التفاوض، فيما ذهب رباني إلى تقوية موقفه الدولي، وذلك عن طريق مبعوثيه الذين وصلوا إلى الهند والاتحاد السوفيتي وإيران لمؤازرته ضد توجهات الباكستان أولاً، وتعزيز قواته تحت قيادة أحمد شاه مسعود بالسلاح والعتاد والوقود، وتحسين عمل أجهزة الملاحة في قاعدة باكرام الجوية لاستقبال الطائرات المقاتلة وطائرات النقل ثانياً[1]. وفي المقابل، فقد جهزت الباكستان حركة طالبان بمزيد من الأجهزة اللاسلكية، وتحسين الملاحة في الجوية في قاعدة قندهار،وكذلك فعلت السعودية التي زادت من كميات الوقود والطعام والاموال ومئات العجلات المخصصة للحمل وعدد من الصواريخ المضادة للدبابات.

في الولايات المتحدة ، أعلن مساعد وزير الخارجية (روبن رابل) عن عدم اهتمام بلاده لمناصرة أياً من حكومة رباني أو حركة طالبان ، ودعى الطرفين إلى الجلوس على طاولة المفاوضات لحل المشاكل بينهما، مما سبب حرجاً لباكستان (الحليف

---

(١) أشارت تقارير الاستخبارات الباكستانية أنه في يوم واحد هبطت (١٣) ثلاثة عشر طائرة إيرانية في قاعدة باكرام، وتأكدوا أن حمولتها كانت عبارة عن تجهيزات عسكرية لقوات رباني، فيما أشارت CIA أن من بين التجهيزات العسكرية خمسة صواريخ ستنكر أمريكية ضد الطائرات وهي من بين(٩٠٠) صاروخ جرى توزيعها على مجموعات الفدائين الأفغان خلال عامي (١٩٨٦ -١٩٨٧).

Ahmed Rashid, op. cit, p.48.

الأقرب للحركة)، وهو ما دعى حكمت يار من إرسال ألف من مقاتليه لمؤازرة رباني، ويتوجه هو بنفسه إلى العاصمة كابل في ٢٦ حزيران ليتسلم منصب رئيس الوزراء بعد غياب دام خمسة عشر سنة.

في نفس يوم وصول حكمت يار إلى كابل شنت حركة طالبان سلسلة من عمليات القصف بالصواريخ للعاصمة مما سببت في مقتل واحد وستون من المدنيين وجرح المئات، وفي شهر آب أنظم عبد الرشيد دوستم إلى محور (رباني)، غير أن حركة طالبان بقيت تعاني من ضعف في تعبية قواتها واعتمدت على الهجمات المباشرة (أي الهجوم الجبهوي) دون القيام بعمليات التفاف لضرب أجنحة قوات أحمد شاه مسعود، كما هي تعاني من نقص الخبرة في تحشيد القوات والنيران لإحداث خرق في قوات خصمهم[1].

في ٢٥ آب ١٩٩٦ شنت قوات طالبان هجوم مباغت على منطقة جلال آباد من جهة الجنوب، وقوة أخرى جهزتها باكستان من جهة الشرق، وفي اليوم العاشر من أيلول هرب حاكمها عبد القادر إلى باكستان، ودخل طابور الملا (بورجان) المدينة بعد معركة سريعة وكانت نسبة الخسائر بحدود سبعين من المدينين. وفي ٢٤ أيلول تدفقت قوات طالبان من مدينة سيروبي إلى العاصمة التي تبعد خمسة وسبعون كيلو متراً، وأربكت عمل قوات الحكومة بالسرعة والمخادعة التي تم انجازها، فيما ذهبت قوة أخرى بإتجاه قاعدة باكرام لقطع أي تواصل لقوات (مسعود) مع أي امدادات يمكن أن تصلهُ عن طريق الجو، مما أجبر مسعود الهروب إلى الشمال ومعه مجموعات من

---

(١) حضر مدير الاستخبارات السعودي الأمير تركي الفيصل بصحبة مدير الاستخبارات الباكستاني لمناقشة أفضل الخطط لاحتلال العاصمة كابل، ويعتقد أن حاكم جلال آباد الحاج عبد القادر قد تسلم رشوة مقدارها عشرة ملايين دولار لتسهيل عملية دخول قوات طالبان.
Angelo Rasanayagam, op. cit, P. 204; Ahmed Rashid, op. cot, p.47.

أسلحته الثقيلة والمدفعية في يوم ٢٦ أيلول تاركاً الآلاف من طالبان تدخل مسرعة لاحتلال معسكراته في الداخل[١].

كان تعامل حركة طالبان مع منافسيها قاسياً، وكان أول ما بادر إلى أذهان قادة المجموعات المسلحة أن تلقي القبض على الرئيس السابق نجيب الله أمين الذي تركه السوفيت وحيداً بعد سحب قواتهم على يد غورباتشوف عام ١٩٨٩.

كانت حكومة رباني قد أبقت على حياة نجيب الله الذي لجأ إلى مبنى الأمم المتحدة منذ عام ١٩٩٢ ، وكان ذلك ليس احتراماً للرئيس الشيوعي، وإنما لكي يُظهر رئيس الدولة الجديد برهان الدين رباني احترامهُ للحصانة القانونية التي يتمتع بها موظفوا الأمم المتحدة ، والمبنى الذي لجأ إليه نجيب الله [٢].

بعث نجيب الله برسالة إلى مسؤول الأمم المتحدة في الباكستان (نوربت هول) يوم ٢٦ أيلول يخبرهُ بتدبر الأمر لانقاذهُ وأخيه (شاهبور أحمدي زي) وسكرتيرهُ الشخصي، ولكن لم يجب أحد على رسالته في ذلك اليوم، فيما عرض عليه أحمد شاه مسعود عن طريق أحد ضباطه الكبار الخروج مع الحكومة المنسحبة من العاصمة، وأنهُ سيضمن سلامته، الا أن نجيب الله وبسبب كبريائه البشتوني وعناده رفض العرض الذي وصله في أحلك الساعات من قائد طاجيكي.

أرسل نجيب الله رسالة لاسلكية أخرى في مساء نفس اليوم إلى إسلام آباد، يطلب فيها العون والمساعدة، وكالعادة لم يجب أحد عليها وفي الساعة الواحدة ليلاً وصل خمسة رسجال مقنعين من وحدة طالبان الخاصة، وكانوا بأمرة الملا عبر الرزاق

---

(١) **Ahmed Rashid, op.cit, p. 48.**

I. bid , p. 48; Angelo Rasanayagam, op. cit, p.151-152..

(٢) خدم نجيب الله أمين مديراً لجهاز أمن الدولة الأفغاني (الخاد) قبل أن يصبح رئيساً للجمهورية، حكم لمدة ست سنوات ١٩٨٦ -١٩٩٢ ، متزوج من (فاتنه) له ثلاث بنات يقمّن في الهند منذ لجوء زوجها إلى الأمم المتحدة.

حاكم هيرات وقائد الوحدة الخاصة ليطل بمن نجيب الله وأخيه وسكرتيره الشخصي الخروج معهم، ليقوموا بتنفيذ حكم الاعدام بالثلاثة بعد تعذيبهم[١].

بعد مرور أربعة وعشرون ساعة على دخول قوات طالبان للعاصمة كابل، واجه الناس تحدي كبير لحريتهم، فقد فرضوا نظام إسلامي صارم، ومنها تحريم خروج النساء إلى خارج البيوت بدون عمل، غلق كليات ومدارس البنات مما حرم أكثر من سبعين ألف منهم من التعليم، وحرم أكثر من خمسة وعشرين ألف من أرامل الحرب من ترك أعمالهن خشية من انتقام متطرفي طالبان، واستمرت مجموعاتها بالتجوال في شوارع المدينة ومسك تقاطع الطرق لمنع أي موسيقى أو الأطباق لالتقاط القنوات الفضائية، واعتقال الرجال حليقي اللحية، واعتقال من يلعب بالطائرات الورقية أو طيور الحمام أو ممارسة لعبة كرة القدم[٢].

تحصن أحمد شاه مسعود الطاجيكي[٣] وقوته البالغة عشرون ألفاً في وادي بانجشير قاعدته الأولى التي انطلق منها لقتال السوفيت خلال سنوات الحرب الماضية وكان لزاماً على رئيسه الطاجيكي برهان الدين رباني أن يجد تحالفات جديدة لمواجهة ضغط حركة طالبان التي تابعت القوة المتقهقرة إلى شمال العاصمة كابل، وفي الثامن من تشرين أول ١٩٩٦ عقد رباني اجتماعاً مطولاً مع عبد الرشيد دوستم

---

(١) تشير المعلومات التي دونها الكاتب أحمد رشيد، ان الثلاثة يضمنهم نجيب الله قد ضربوا ضرباً مبرحاً وأخذوهم في الليل إلى القصر الجمهوري المهجور، فتم ضرب الرئيس على خصيتيه، وسحل جسده بسيارة (جيب) قبل اعدامه شنقاً حتى الموت بسلك معدني وليس بحبل كما هي العادة، **Ahmed Rashid, Op.cit, p.49**

(2) I bid, p.51.

(٣) من مواليد ١٩٥٦، ومن عائلة عسكرية، درس في فرنسا، شارك في محاولة لاسقاط الرئيس داود خان عام ١٩٧٥، وبعد فشلها ، لجأ إلى الباكستان. التقى في بيشاور الباكستانية مع قلب الدين حكمت يار لتدارس أسباب عدم وحدة المجاهدين، يعتبر أحمد شاه مسعود أحد رواد حرب العصابات حتى أطلق عليه السوفيت بأنه (أسد بانجشير) . وحتى عام ١٩٩٩ أصبح عمره ٤٦ سنة وتكون (٢٥) منها قد قضاها بالقتال.

الأوزبكي في محالولة لثنيه من تقديم دعم أو التزام لحركة طالبان تحت وعود منها إعطاءه حكم ذاتي في مزار الشريف، معتقداً أن طالبان ترفض اعطاء أي قائد غير بشتوني قوة وحكم في أي ولاية من الولايات الأفغانية، وفي العاشر من تشرين أول عقد رباني اجتماعاً أخر مع دوستم وحضرهُ كريم خليلي (الهزاري) زعيم حزب الوحدة المدعوم من إيران، واتفق الثلاثة على تشكيل المجلس الأعلى للدفاع عن أرض بلادهم، وهو يعني استمرار الحرب الأهلية لفترة غير معلومة[١].

تجمعت لدى أحمد شاه مسعود معلومات استخباراتية وافية عن الاندفاع السريع لحركة طالبان باتجاه ممر سالانك المؤدي إلى وادي بانجشير، فوجد أن الفرصة مواتية لضرب المجموعات المسلحة وهي ضعيفة وقليلة ومتباعدة بعضها عن بعض، وفي الثاني عشر من تشرني أول ١٩٩٦، تمكنت قواته من شن هجوم مقابل على امتداد طريق سالانك السريع، فأوقع المئات من القتلى في صفوف طالبان، وأسر أعداد كبيرة منهم، وعاد الآخرين إلى كابل مذعورين من شدة الهجمات. وفي الثامن عشر من الشهر نفسه تمكنت قوات مسعود من استعادة قاعدة باكرام الجوية، وتهديد مطار كابل مرة أخرى، فيما تمكنت الطائرات المقاتلة التابعة لدوستم من قصف أهداف لطالبان داخل العاصمة، ومع استمرار المعارك العنيفة بين الطرفين وقصف الأحياء السكنية فقد هرع ما يقارب الخمسين ألف منازلهم باتجاه الغرب والشمال، فيما اتخذ الهزارة والطاجيك طريقاً آخر باتجاه الشرق أي باتجاه الحدود الباكستانية للتخلص من المدن البشتونية، وحالات الاعتقالات الجماعية التي مارستها طالبان بحقهم[٢].

واجهت حركة طالبان نقص بالقوى البشرية المقاتلة من جراء استمرار النزيف الدموي، وهذا ما أجبرها على حجز الشباب المتوجهين إلى المساجد لارسالهم إلى القتال، فيما دعت باكستان آلاف المتطوعين من شباب المدارس الدينية للالتحاق مع حركة طالبان، وبدت حركة واسعة لتجنيد أبناء المخيمات الأفغانية من قبل عناصر

---

(١) Ahmed Rashid, op. cot, p.53; Angelo Rasanayagam, op. cit, p.153.
(2) Ahmed Rashid , op.cit., p.53; Angelo, Rasanayagam, op. cit, p.153.

الأحزاب الإسلامية الباكستانية، التي سهلت من مهمة ارسالهم عبر عجلات تم تأجيرها خصيصاً للمقاتلين لايصالهم إلى كابل وقندهار[1].

تبنت حركة طالبان في نهاية تشرين أول خطة جديدة لمواجهة قوات التحالف الشمالي عبر الانطلاق من هيرات لمهاجمة محافظة (بادغيز) ، وهذا ما جعل إسماعيل خان المدعوم (إيرانياً) من تجهيز قوة تقدر (ألفين) من أبناء هيرات لنقلها بواسطة طائرات دوستم إلى منطقة (ميامان) لتدور معركة أخرى على أطراف (بادغيز) استخدمت فيها القوة الجوية لكلا الطرفين لضرب أهداف منتخبة، وساهمت مرة أخرى إلى هجرة الآلاف من المدنيين إلى هيرات، وعطلت جهد الأمم المتحدة في التعامل مع آلاف المهجرين[2].

كان موقف طالبان يتسم بحراجة موقفها القتالي نتيجة لاستمرار سقوط القذائف على العاصمة كابل ، وكثرة تساقط الثلوج في شهر كانون أول وبداية شهر كانون الثاني ١٩٩٧ ، ونتيجة لمشورة جهاز المخابرات الباكستاني والسعودي لدفع قوات أحمد شاه مسعود بعيداً ، فقد شنت قوات طالبان هجوماً كبيراً استعادت فيها كل الأراضي التي فقدتها في شهر تشرين أول بما فيها القاعدة الجوية باكرام، وباتت تهدد قوات دوستم في مزار شريف[3].

استمر التنسيق بين حكومتي السعودية والباكستان بصدد وجود مخرج لاستمرار الحرب الأهلية، وانقسام المجتمع الأفغاني بين طوائف دينية وعرقية يتعذر مصالحتهم على طاولة واحدة، فكانت البداية هو الاعتراف بالحركة رسمياً وفتح سفارات في العاصمة كابل بغية اقناع الآخرين حيث أن ٧٥٪ من أراضي الدولة هي بيد قوات طالبان، ومن بين الثمانية وعشرين محافظة، فإن اثنان وعشرين منها بيد

---

(1)Ahmed Rashid , op.cit., p. 53

(2) Ibid, p. 53; Angelo, Rasanayam, op. cit, p.153.

(٣) مزار شريف أي مزار مرقد الإمام علي بن أبي طالب (كرم الله وجه)

I bid , p. 54.

الحركة، وأن الأيام القادمة ستشهد اتساع رقعة الأرض المحررة كما أشار الملا محمد حسن أحد قادة طالبان[1].

مزار شريف ١٩٩٧

تعتقد حركة طالبان أن مزار شريف وما حولها هو ما تعوّل عليها الإمارة الأفغانية في تطوير اقتصادها، حيث يتوفر الغاز والصناعات والأراضي الزراعية. أما الجنرال عبد الرشيد دوستم[2] فقد وجد نفسه وكأنه المنقذ والأمل الباقي الذي يعوّل عليه أبناء القومية الطاجيكية والأوزبكية والهزارة ومعهم دول روسيا، الهند، إيران لتخليص الناس من قبضة الحركة المتطرفة، معطياً بعض المبررات الجغرافية وهي أن المدينة تقع شمال جبال (هندكوش) وضمن دول آسيا الوسطى، وهي بعيدة جداً عن معقل البشتون (قندهار) التي تقع ضمن أراضي كراجي (العاصمة الاقتصادية لباكستان في الوقت الحاضر). كما تتمتع مزار شريف بكونها حلقة رئيسية على طريق الحرير القديم الذي استخدم للتجارة المهربة بين باكستان ودول وسط آسيا وإيران، وفيها تقع قلعة الحرب المعروفة باسم (قلعة جانكي) **Qila-e-jhangi** التي يتردد عليها السواح الذين يزورون المحافظات الشمالية، وفيها جامعة بلخ التي تظم في أقسامها ألف وثمانمائة شابة والتي بدت حركة طالبان تبحث عن نقاط ضعف الجنرال دوستم لامكان النفوذ منها واخضاع خصمهم دون الدخول في اشتباكات دموية قد تستمر لفترة طويلة[3].

---

(1) Ahmed Rashid, op. cit, p. 54.

(٢) ولد عام ١٩٥٥ في قرية قرب شبيرخان. التحق بالجيش الأفغاني عام ١٩٧٨، وتدرج بالرتب حتى أصبح قائد فيلق. بعد رحيل السوفيت عام ١٩٨٩، قاد عبد الرشيد دوستم ميلشيا أوزبكية (جوزجان). وفي عام ١٩٩٢ تمرد دوستم على رئيس الدولة نجيب الله. أستلم مساعدات من روسيا، إيران تركيا، باكستان (بعض الوقت) وأوزبكستان.

انظر: **Ahmed Rashid, op. cot, p.54**.

(٣) **I bid , p. 54.**

انتهزت حركة طالبان وجود مشكلة تمثلت في مقتل الجنرال رسول بهلوان وخمسة عشر من حمايته في حزيران ١٩٩٦ وهو شقيق الجنرال مالك بهلوان نائب دوستم، وكان الشائع لدى أهالي مزار شريف أن دوستم هو الذي دبر مقتلهِ[١].

تحركت قوات طالبان بهدوء من محافظة هيرات وكابل العاصمة باتجاه محافظة (فارياب) الشمالية التي تتمركز فيها قوة مالك بهلوان، ونتيجة للتنسيق الذي أنجز بوقت مبكر مع بهلوان، فقد أدرك دوستم مقدار الخيانة، مما جعلهُ يسرع بالهرب إلى أوزبكستان ثم من هناك إلى تركيا . واستمر تدفق قوات الحركة التي بلغت أكثر من ألفين وخمسمائة مقاتل إلى مزار شريف تحت قيادة الملا عبد الرزاق، الذي عرض على مالك بهلوان منصب نائب وزير الخارجية في حكومة كابل.

كان الملا عبد الرزاق قد أمر قواته بنزع سلاح قوات الأوزبك والهزارة، وفرض قيود وتعاليم الحركة على المدارس والجامعات كما فعلت في كابل، وفي الوقت الذي تدخلت الحكومة الباكستانية ممثلة بوزارة الخارجية ووصول عدد من ضباط الاستخبارات إلى مزار شريف لتدارس الموقف بغية اعتراف دول العالم بشرعية حركة طالبان ظهرت واحدة من مفاجآت الحرب التي لم يكن قادة طالبان يدركون عواقبها، هي أنهم طلبوا من عدوهم المنتشر في أحياء المدينة الكبيرة مزار شريف القاء أسلحتهم بدون قتال ولكن ما حصل لهم هو:

- في عصر يوم ٢٨ أيار ١٩٩٧ ، ظهرت قوة من طائفة الهزارة لتقول ولماذا نلقي سلاحنا ونحن في عداء طائفي وحرب طال أمدها أكثر من ثلاث سنوات مع طالبان.
- باغتت القوة بنيرانها قوات حركة طالبان وهم لا يزالون في عجلات (البيك آب) المتجمعة كهدف للرماة من فوق السطوح والبيوت المجاورة، وفي غضون

---

(١) **Ahmed Rashid, op.cit, p. 57 ; Angelo Rasanayagam, op. cit, p.153.**

خمسة عشر ساعة من قتال الشوارع، فقدت طالبان ما مجموعة ستمائة قتيل والقبض على (ألف آخرين) حاولوا الهرب من مطار المدينة.

- قتل أو أسر عشرة من قادة حركة طالبان، كان من ضمنهم وزير الخارجية (ملا محمد خوز)، الملا عبد الرزاق، وحاكم البنك المركزي الملا احسان الله، وعدد من الطلاب الباكستانيين[1].

استغل الجنرال مالك بهلوان الموقف المتدهور نتيجة كثرة خسائر طالبان، فأوعز إلى قواته السيطرة على أربع محافظات شمالية تاخار، فارياب، جوزجان، وسري بول بعد أن بقيت هذه المحافظات بيد طالبان لمدة خمسة أيام، ومع استمرار المعارك انتقلت المبادأة بيد قوات مالك بهلوان للسيطرة على محافظات بلخ، سمنجان، وقندز. وفي الوقت الذي تسارع فيه المقاتلين من طالبان للهروب أو العودة إلى العاصمة أدركهم الهزارة والأزبك ليغلقوا عليهم معظم الطرق المعبدة الصالحة لحركة عجلاتهم، فوقع الآلاف من طالبان ومئات الطلاب الباكستانيين في الأسر، ثم نفذوا فيهم أحكام القتل وهم عزل من السلاح، ودفنوا في مقابر جماعية [2].

استغل أحمد شاه مسعود موقف قوات طالبان، فتمكن من احتلال مدينة جبل سراج الكائنة في المدخل الجنوبي لممر سالانك، كما تمكنت قواته من غلق الطرق المؤدية إلى الممر لأسر أعداد أخرى هاربة من حركة طالبان. وعادت قوات أحمد شاه مسعود لتكون على ضواحي العاصمة تصيبها بقذائفها متى أرادت. وفي نفس الوقت تحرك كريم خليلي بقوات من الهزارة لاستعادة الأراضي التي خسرها قبل تسعة أشهر، فتمكنت قواته من استعادة وادي باميان، واقتربت قواته من العاصمة أيضاً مجبرين بذلك آلاف من العوائل البشتونية من الرحيل باتجاه العاصمة، وكان موقف طالبان القتالي هو الأسوأ منذ تأسيسها قبل ثلاثين شهراً، فقد خسرت في عشرة أسابيع من

---

(١) **Ahmed Rashid, op.cit, p. 58; Angelo Rasanayagam, op. cit, p.154.**

(٢) **I. bid , p. 59.**

القتال من آيار إلى تموز ما مجموعه ثلاثة آلاف من مقاتليها وأكثر من ثلاثة آلاف وستمائة في عداد الأسر، وأكثر من سبعة آلاف في عداد الجرحى[١].

استغاث الملا عمر وطلب من الباكستان مساعدة عاجلة فتقرر على أثرها غلق المدارس الدينية، وتجنيد ما يقارب الخمسة آلاف منهم ، وأجبر الملا عمر الذهاب إلى العاصمة لأول مرة لتدارس الموقف مع قادته لرفع معنوياتهم. حاولت طالبان الطلب من البشتون (عشائر غلزاي) [٢] في شرق أفغانستان التطوع لانقاذ الموقف، ولكنهم طلبوا ثمناً سياسياً هو المشاركة في الحكم وأجبر الملا عمر على الموافقة، لإشراك ثلثمائة ألف مقاتل من عشائر غلزاي للدفاع عن العاصمة كابل، إلا أن قيادتها قد أعطيت إلى أحد قادة الملا عمر، مما أغضب الغالبية العظمى من مقاتلي (غلزاي) ليتخلوا عن المهمة الجديدة ليبقى منهم في المحصلة النهائية ثلثمائة مقاتل[٣].

الدول المجاورة لأفغانستان، أبدت هي الأخرى قلقها من تطورات الموقف، وهو ما جعل روسيا ، أوزبكستان، طاجكستان تغلق حدودها مع الشمال الأفغاني أما إيران فقد أعلنت عن استمرارها دعم الجبهة المعادية لحركة طالبان، ونسقت جهودها مع روسيا لتزويد حليفها أحمد شاه مسعود بطائرات مقاتلة، وسيرت أثنان وعشرون رحلة طيران إلى مزار شريف لنقل التجهيزات والأسلحة والذخيرة كما وصفها وزير صحة حركة طالبان[٤].

---

(١) **Ahmed Rashid, op.cit, p.59 ; Angelo Rasanayagam, op. cit, p.155.**

(٢) تنقسم قبائل البشتون الى ثلاث قبائل هم الدرانية والغلزية وقبائل صغيرة ، وأشار جلال الدين حقاني من عشائر غلزاي أن تعبية طالبان في مزار شريف كانت خاطئة، وأن الاتفاق مع الجنرال مالك بهلوان كان سريعاً وبدون مفاوضات مدبرة. انظر: **Ahmed Rashid, op. cit, p. 59;** احسان حقي المصدر السابق، ص ٢٦.

(٣) **Ahmed Rashid, op.cit, p.60 ; Angelo Rasanayagam, op. cit, p.155.**

(4) Ibid., p. 61.

عاودت الجبهة المناوئة لطالبان حركتها بنشاط لتشكل جبهة في ١٣ حزيران ١٩٩٧ أطلقت عليها الجبهة الوطنية والإسلامية لخلاص أفغانستان ، واتفقت الأطراف أن تكون مدينة مزار شريف هي العاصمة المؤقتة للحكومة الجديدة المؤلفة من برهان الدين رباني رئيساً وأحمد شاه مسعود لوزارة الدفاع، إلا أن مثل هذا الاتفاق قد شابهُ الاختلافات العرقية لشغل المناصب الوزارية بين الجنرال مالك بهلوان، وأحمد شاه مسعود، وكريم خليلي، وبذلك حرم الطاجيك والأوزبك والهزارة للعمل بجبهة واحدة ضد حركة طالبان [١].

زادت شكوك قادة حركة طالبان بالدور المشبوه الذي مثله الجنرال مالك بهلوان في معركة مزار شريف يوم ٢٨ أيار ١٩٩٧ ، وبعمل مباغت تمكنت قوة طالبان من السيطرة على محافظة قندز عبر الهجوم على مدينة (تاشكورجان) (Tashkurgan) محدثة اضطراباً كبيراً في عاصمة الشمال مزار شريف، وظهر لقوات الأوزبك الموالية لعبد الرشيد دوستم الهارب إلى تركيا وكأن مالك بهلوان هو من سهل لحركة طالبان لاحتلال المدينتين، واندلع على أثرها قتال عنيف بين قبائل الأوزبك المؤيدة لبهلوان ودوستم، أضطر الأول إلى الهروب إلى محافظة فارياب ثم تركمانستان ومن هناك إلى إيران[٢].

سادت الفوضى في مزار شريف بسبب القتال الدائر، وتلقى دوستم دعوة أصحابه للعودة من منفاه القسري (تركيا) إلى مزار شريف للتخلص من اتباع مالك بهلوان أولاً وطرد مقاتلي طالبان خارج مدينته ثانياً، وايقاف عمليات النهب والسلب لمقرات الأمم المتحدة ودوائر الحكومة ثالثاً.[٣]،

---

(1) Ahmed Rashid, op. cit, p. 61.

(2) I bid., p. 62.

(3) I bid., p. 62; Angel, Rasanayagam, op. cit, 155.

كان في عقل قادة طالبان أن يثأروا من الهزارة لما حصل لهم سابقاً في مزار الشريف، ووجدوا الفرصة سانحة لهم وهم يتراجعون إلى محافظة قندز أن يدخلوا إلى قرية (قزل آبد) الهزارية، ليقوموا بقتل ما يقارب سبعين من الهزارة المدنيين كما أفاد أحد الناجين (سهراب روستم) [1]. وبوصول أخبار المجزرة إلى أذهان (كريم خليلي)، طلب من أتباعه في مزار الشريف أحكام قبضتهم على المدينة، فعاد التوتر هذه المرة بين حلفاء الأمس الهزارة والأوزبك، أما تصرف دوستم فقد أراد أن يثبت حسن النية مع طالبان، ليؤكد لهم أن هناك عشرين مقبرة جماعية لأسرى طالبان في صحراء (داش تي ليلي) في محافظة جوزجان، وظهر في هذه المقابر ما يقارب الفيّ جثة ، ليقول لهم دوستم أن قتلهم تم على يد الجنرال مالك بهلوان، ولإثبات حسن نيته فأنه سيطلق سراح مائتي من أسرى طالبان من سجون مزار شريف[2].

طلب دوستم من موظفي الأمم المتحدة في مزار شريف اجراء تحقيق لإثبات من قتل عناصر طالبان ، والطريقة التي تمت فيها عملية القتل واحتمالات التعذيب الوحشي الذي مارسه القتلة، وهو في كل هذا أراد أن ينال من خصمه الجنرال مالك بهلوان لينهي دوره نهائياً من عقول الأوزبك[3] ولضمان مجريات التحقيق، استدعي الجنرال الأوزبكي (سليم سهر) وهو من أتباع مالك بهلوان ليقول لهيئة التحقيق، أن عمليات تعذيب وقتل قد حدثت ، وأن أحد ضباطه قد أخبره، إن في أحد الليالي تم اخراج مائة وخمسون أسير من حركة طالبان وهم معصوبي العينين وأيديهم موثقة خلف ظهورهم ليضعوهم في حاوية حديدية مغلقة اتجهت بهم إلى الصحراء. وفي مكان مدبر تم وضع الحاوية على حفرة نار لتسخن لمدة ستة ليالي، وفي نهاية المدة، أخرجت الجثث وهي متفحمة من شدة استمرار الحرارة ونقص الأوكسجين، ولم تكن هذه الحادثة الأولى

---

(1)Ahmed Rashid, op. cit., p 63.

(2) Ahmed Rashid, op. cit, p.63.

(3) I bid., p. 63.

هي، فقد استمرت الحاويات تنقل الأسرى ليقتلوهم بذات الطريقة حتى وصل العدد بحدود ألف ومائتان وخمسون عنصر من طالبان[1].

ساد جو من الرعب والخوف في كل القرى المعزولة خشية من اعمال الانتقام التي قد يتعرضون لها على يد طالبان (السنية) أو الهزارة (الشيعية)، وهو هدف جنح إليه محققوا الأمم المتحدة لإشاعة خبر المقابر الجماعية والحاويات الحديدية بدل التقيد بضوابط القتال بين المتنازعين وهم ينتمون إلى دين الإسلام[2].

باميان ١٩٩٨-١٩٩٩

تقع المحافظة في وسط أفغانستان، وهي معقل قبيلة الهزارة الشيعية، ومنذ آب ١٩٩٧ صممت حركة طالبان على غلق كل الطرق المؤدية إلى باميان، ومنع وصول الامدادات الغذائية حتى للمحافظات المجاورة لها كهار، وردك، وغزني، وذلك من أجل إجبار مقاتلي حزب الوحدة بقيادة كريم خليلي المدعوم من إيران على الاستسلام. وأشارت الأمم المتحدة وبرامجها الدولية لتوفير الغذاء، أن طالبان استخدمت الطعام كسلاح لتجويع الأفغان وهم أصلاً جائعين[3].

---

(1) I bid., p. 63.

(٢) قامت حركة طالبان بطرد موظفي الأمم في أي بقعة تحت سيطرتهم، فهم لا يثقون بهم ، ورفض الملا عمر استقبال ممثل الأمم المتحدة (روبرت هول) مما أثار غضب الجميع بما فيهم الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان.

(٣) تقع محافظة باميان على ارتفاع (٧٠٠٠) قدم، وأثناء هطول المطر وتساقط الثلوج يصبح من المتعذر على الشاحنات قطع المسافة بسهولة، إضافة إلى استمرار الحرب الأهلية وسبل العنف والانتقام الذي طغى على طريق النزاع طالبان والهزارة.

أبقت إيران قنوات الاتصال والدعم مع حزب الوحدة وزعيمه كريم خليلي، وكثيراً ما شجعته للذهاب في زيارات إلى الهند وروسيا وتركيا لمزيد من الدعم الدولي لقضية الهزارة في ظل وجود حركة طالبان وزعيمها المتطرف الملا عمر[1].

تحركت إيران وروسيا، عبر إرسالهم عدداً من رجال مخابراتها لإجراء حوار مع عبد الرشيد دوستم المتواجد في مقره (شيبرغان) ضمن ولاية مزار شريف، وكان هدفهم إيجاد أرضية سليمة لتحالف قوي بين الأوزبك والهزارة بعد معارك شباط ١٩٩٨. فيما ذهب أحمد شاه مسعود إلى طهران لإحياء جبهة متماسكة أطرافها الطاجيك، والأوزبك والهزارة[2].

استغلت حركة طالبان ظروف الشتاء القاسية، لتبدأ هجوماً عنيفاً أساسه الانتقام من القرويين الأوزبك ضمن محافظة فارياب، عندما أخذوا بقوة السلاح أكثر من ستمائة قروي لقتلهم بعد تعذيبهم [3]. وابتداءاً من آذار ١٩٩٨، استأنفت روسيا وأوزبكستان شحن الأسلحة الثقيلة للطرف المناوئ لطالبان، فيما وجدت إيران أن مساعداتها المضمونة إلى الهزارة يمكن نقلها من محافظة مشهد الإيرانية إلى محافظة باميان مباشرة.

في الجانب الآخر، طلبت حركة طالبان من الباكستان والسعودية دعمهم بالسلاح والتجهيزات والمال لاستئناف تعرضهم القادم باتجاه شمال العاصمة، وعلى أثرها وصل مدير الاستخبارات السعودي الأمير تركي الفصيل إلى قندهار في منتصف حزيران، يرافقه عدد من ضباط الاستخبارات الباكستانية، ومعهُ مساعدة مالية، وعقد لتجهيز الحركة بـ أربعمائة (بيكب آب)، فيما قدمت الباكستان بليوني روبية، أي ما يساوي خمسة ملايين دولار.

---

(1) Angelo, Rasanayagam, op. cit, p. 156.

(2) Ahmed Rashid ,op. cit, p. 70.

(3) Ahmed Rashid ,op. cit, p. 70; angelo, Rasanayagem, op, cit , p. 156.

بدأت حركة طالبان تعرضها الواسع في الثاني عشر من تموز ١٩٩٨، منطلقين من مدينة هيرات للسيطرة على مدينة (ميامان)، وبحركة التفاف واسعة ضد قوات دوستم، تمكنت من السيطرة على مائة دبابة وعجلة، وأسر ثمانمائة جندي من الأوزبك، وفي حلول بداية آب وصلت قوات طالبان إلى مقر دوستم في (شيبرغان)، هرب على أثرها دوستم إلى أوزبكستان ثم تركيا، وهي المرة الثانية التي يترك جنوده في الميدان خلال فترة الحرب الأهلية[١].

في الثامن من آب، طورت الحركة أساليب قتالها باتجاه القوة الرئيسية للهزارة البالغة ألف وخمسمائة مقاتل، وقد انهارت قوة الهزارة نتيجة مناورة التطويق التي نفذتها الحركة، ودخلت قوات الحركة المدينة للمرة الثانية بعد سنة وأربعة أشهر، ولكن هذه المرة تريد الانتقام من أي أسير يقع بيديها[٢].

استعانت طالبان هذه المرة بالعناصر البشتونية الموالية لقلب الدين حكمت يار لدلالة قواتها إلى الأزقة الضيقة، والطرق غير المعلومة، ومقرات الهزارة والأوزبك ومخازن الأسلحة والذخيرة التي استلمت مؤخراً من ايران وروسيا وأوزبكستان. أما الأسرى، فقد أشار أحد قادة طالبان أن الملا عمر قد منحهم فترة ساعتين لقتل عدوهم، إلا أن ما حصل قد استمر لمدة يومين مما أتاح للمجموعات المتعطشة للانتقام أن تقتل كل شيء متحرك أمامها، فهي استهدفت أصحاب المحلات، النساء، الأطفال، الحيوانات والجنود العزل من السلاح مما سبب إلى بقاء الجثث متروكة في الساحات والشوارع لمدة ستة أيام قبل دفنها[٣].

---

(1) Angelo. Rasanayagam, op. cit, p. 157.

تشير المعلومات أن طالبان قدمت رشاوي إلى عدد من مساعدي دوستم لتسهيل مهمة الاحتلال.

(2)Angelo. Rasanatagam, op. cit, p. 63.

وتشير المعلومات إلى بقاء مائة مقاتل من مجموع قوة الهزارة

(3) Ahmed Rashid , op. cit , p. 73; Angelo , Rasanayagam, op. cit, p. 157.

كانت السجون في مزار شريف قد استقبلت آلاف الأسرى الآخرين من الأوزبك والهزارة من الذين استسلموا في أماكن أخرى من المدينة، وقد وضع المئات منهم في حاويات حديدية ليذوقوا الموت في صحراء (داش تي ليلي) كما حدث لعناصر طالبان عام ١٩٩٧[١].

لم ينتهي مسلسل العنف في مزار شريف باحتلالها، وإنما ذهبت طالبان إلى اتهام إيران لدعمها برهان الدين رباني الموجود في طهران، فأقدمت (وحدة خاصة) بقيادة دوست محمد على مهاجمة القنصلية الإيرانية في المدينة واحتجاز أحد عشر دبلوماسياً (بضمنهم ضباط استخبارات وصحفيين) وتم قتلهم[٢].

أثارت إيران القضية على الأمم المتحدة، واتهمت ضباط استخبارات باكستانيين متواجدين في مزار شريف لتصفية دبلوماسيها رداً على قتل المئات من الطلاب الباكستانيين عام ١٩٩٧. وفي الثالث عشر من أيلول ١٩٩٨، شنت طالبان هجوماً على باميان من ثلاث اتجاهات ، مما أجبر بعض قادة قوة الهزارة علىالاستسلام، فيما هرب زعيم حزب الوحدة كريم خليلي إلى الجبال قبل أن تناله قوة طالبان. وبدت إيران وكأنها خسرت آخر معاقلها في باميان، فقالت أن من حقها الدفاع عن نفسها وفق القانون الدولي، وهي إشارة مبطنة لاحتمال التدخل بقواتها المسلحة بعد قتل دبلوماسيا ووصول قوة أفغانية سنية على حدودها[٣].

كان مرشد الثورة الإيرانية علي خامنئي مستاءً من تصرف الحكومة الباكستانية ودعمها لحركة طالبان، بالطائرات والأسلحة الثقيلة والمشورة الاستخباراتية لاحتلال باميان وهو مانفته اسلام آباد. ولممارسة مزيد من الضغط على الباكستان والسعودية وحركة طالبان ، فقد أرسلت إيران ما يقارب الـ سبعين ألف من الحرس الثوري مسندين بالدبابات على طول الحدود الأفغانية – الايرانية لإجراء تمارين

---

(1) I bid., p. 74; I. bid , p. 157.

(2)I bid., p. 63.

(٣) مصطفى الدباغ، المصدر السابق، ص ٩٨.

تعبوية، وفي شهر تشرين أول عززت إيران قوتها بحدود مائتي ألف من الجيش لإجراء سلسلة من التمارين أطلقت عليها (ذو الفقار – ٢) [١]. وبالمقابل فقد عززت طالبان قواتها على الحدود المشتركة لتصل إلى خمسة آلاف مقاتل معززين بصواريخه (ستنكر المضاد للطائرات) وصواريخ أرض – أرض روسية من طراز لونا (مدى ١٠٠ كم) تحسباً لأي غزو إيراني لأراضيها [٢].

عبر الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان عن قلقه من حشود إيران على الحدود، وهو ما أجبرهُ على تعيين الدبلوماسي الجزائري (الأخضر الإبراهيمي) كمبعوث لهُ إلى إيران وأفغانستان وباكستان لتقصي الحقائق . واستقبل الملا عمر المبعوث العربي. في قندهار في الرابع عشر من تشرين أول ١٩٩٨، وكانت هي المرة الأولى التي يلتقي بها الملا عمر مع مبعوث للأمم المتحدة، وأسفر اللقاء على اطلاق سراح ستة وعشرون إيرانياً كانت تحتجزهم حركة طالبان، واستمر الإبراهيمي في جولاته المكوكية في محاولة للتوصل إلى تسوية سلمية للأزمة عبر ترتيب لقاء بين إيران وطالبان في مقر منظمة المؤتمر الإسلامي في جدة في المملكة العربية السعودية، ولكن الأطراف المدعومة من جهات إقليمية ودولية [٣] تنصلت من أي التزامات بعد فترة وجيزة من قسمها على كتاب الله القرآن.

لم يكن الحشد الإيراني على طول الحدود مع أفغانستان هدفهُ الدخول في اشتباك مع قوات طالبان، بقدر ما كان توفير فرصة من الوقت لحلفاءها (الأوزبك

---

(1) Ahmed Rashid ,op. cit,., p. 63.

(2) I bid., p. 76.

(٣) دعى الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان لاجتماع وزاري لدول جوار أفغانستان، وقد عرف باجتماع (٦+٢) اشاره إلى المجتمعين، إيران، باكستان، الصين، طاجاكستان، أوزبكستان، تركمانستان بالإضافة إلى الولايات المتحدة وروسيا، وقد تم عقد الاجتماع في نيويورك في الحادي والعشرين من أيلول ١٩٩٨، وتقرر دعوة إيران وباكستان للتوقف عن دعم طالبان والتحالف المعارض، مصطفى الدباغ ، المصدر السابق، ص ٩٩؛ يوسف الجهماني، الصدر السابق، ص ٥٢.

والهزارة والطاجيك) لإعادة تجهيز أنفسهم بالسلاح والعتاد بعد الانهيار الكبير في تموز وآب وأيلول ١٩٩٨ على يد قوات طالبان، كما ظهر أن إيران لا تريد الدخول في حرب مرة أخرى بعدما ارهقتها حرب الثمان سنوات مع العراق[١].

كان وجود أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة في أفغانستان يلاقي قبول ورضى الملا عمر وبقية قادة طالبان وهم في تفاهم مشترك لإنشاء إمارة إسلامية أفغانية يمكن أن تكون قاعدة ومنطلقاً لتقويض حكم الدول العربية في الجزيرة العربية وضرب المصالح الغربية عبر ميليشيات تنظيم القاعدة التي توغلت بعيداً في كل أجهزة الدول بما فيها الأجهزة الأمنية.

أتهم تنظيم القاعدة بتفجيرات استهدفت السفارات الأمريكية في كل من تنزانيا وكينيا في آب ١٩٩٨، أوقعت ٢٢٤ قتيلاً بينهم اثنا عشر أمريكياً[٢]، ولم تمضي أيام على الهجوم حتى ردت الولايات المتحدة في العشرين من آب بهجوم صاروخي من طراز كروز على معسكرات بن لادن في أفغانستان، واتبعها الرئيس الأمريكي كلنتون بإصداره مرسوم في السادس من تموز ١٩٩٨ يقضي بفرض عقوبات تجارية ومنع أي استثمار في أفغانستان في ظل وجود حركة طالبان، واستمرت الولايات المتحدة في ضغطها على الدولتين الداعمتين لطالبان، الباكستان والسعودية بضرورة تسليم بن لادن لمحاكمته، ثم قدمت مشروعها إلى مجلس الأمن في الخامس عشر من تشرين أول، يقضي بمنح حركة طالبان مهلة شهر واحد لتسليم بن لادن تحت طائلة العقوبات المالية، وأدج اسم بن لادن على لائحة مكتب التحقيقات الفيدرالي (F.B.I) باعتباره مطلوباً للعدالة، ورفضت حركة طالبان ذلك الانذار وتجاهلته الأجهزة الأمنية الباكستانية[٣].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٢) يوسف الجهمانس ، تورا، بورا، المصدر السابق، ص٢٣٧.

(3) Ahmed Rashid, op. cit, p.78; Angelo, Rasnayagam, op.cit, p.204

أظهرت الولايات المتحدة ضغطاً متواصلاً على الحكومة الباكستانية، فيما دخلت الأمم المتحدة على خط إجراء مفاوضات بين الأطراف المتنازعة في مدينة عشق آباد عاصمة طاجكستان في الحادي عشر من آذار ١٩٩٩، ومع انتهاء الاجتماع إلى توصية باطلاق سراح الأسرى من الجانبين واستمرار المفاوضات اتهم الملا عمر أحمد شاه مسعود [١] بسعيه لتقويض الاتفاق، فهو الذي توجه إلى روسيا لمقابلة وزير الدفاع (ايكور سيريجيف) في السابع من نيسان ١٩٩٩، وبعدها أعلنت روسيا عزمها انشاء قاعدة عسكرية في طاجكستان وهي إشارة لمعاونة قوات المعارضة بقيادة أحمد شاه مسعود ضد حركة طالبان [٢].

شنت قوات مسعود بالتعاون مع قوات حزب الوحدة (الهزارة) هجوماً لإعادة السيطرة على معقل الهزارة في باميان في ١٢ نيسان، وتمكنت من طرد حركة طالبان خارج المدينة [٣].

تمكنت قوات طالبان في الثامن والعشرين من تموز ١٩٩٩ من شن هجوم آخر في شمال شرق البلاد في محاولة لقطع خطوط تموين قوات أحمد شاه مسعود مع طاجكستان [٤]. وبعد سلسلة من المعارك استولت الحركة على محافظة طالقان وعدد من المدن الحدودية مع طاجكستان مما أدى إلى نزوح أكثر من (١٥٠.٠٠٠) مائة وخمسون ألف أفغاني إلى الدولة المجاورة فأثارت حالة من الفزع في دول وسط آسيا[٥]. ومع بداية عام ٢٠٠٠ ، عزمت الحركة على استضافة مقاتلين متطرفين من دول وسط آسيا، إيران ، كشمير، الصين والباكستان لتقاتل بجانب قوات طالبان، وتبين كما يشير الكاتب أحمد رشيد، أن بين هؤلاء مقاتلين من الحركة الإسلامية الأوزبكية

---

(1) I bid., p. 78.

(2) I bid., p. 78.

(3)Ahmed Rashid, op. cit., p. 78.

(4) I bid., p. 79.

(5) Ahmed Rashid , op. cit, p.79.

بغية تقويض حكم جمهورية أوزبكستان المعارضة لطالبان، وأن ٣/١ القوات التي دخلت إلى محافظة طالقان كانت من غير الأفغان، وأن من بينهم ثلاثة آلاف من الباكستان، وألف مقاتل من الحركة الإسلامية الأوزبكية، وعدة مئات من المقاتلين العرب (تنظيم القاعدة)، ومجموعات كشميرية وشيشانية وفلبينية ومسلمين من الصين في الوقت الذي كانت جهود المجتمع الدولي تسير بالاتجاه الموحد لمقاومة الارهاب، وتناغمت الجهود الروسية مع الأمريكية لتقويض حركة طالبان، وفي صيف ٢٠٠٠ لم يكن لطالبان نصيب في أي مساعدة باستثناء باكستان وقد أجبرت فيما بعد للتخلي عنها [1].

(1) I bid., p. 80.

تبدل الموقف الأمريكي

تغير الموقف الأمريكي من القضية تماماً بعد الإعلان السوفييتي الانسحاب من أفغانستان، وتأكد ذلك بعد انتهاء الحرب الباردة تماماً، إذ انخفضت الأهمية الاستراتيجية لكل من باكستان وأفغانستان في السياسة الأمريكية في جنوب وجنوب شرق آسيا، وفي هذا المجال يتطلب منا معرفة ذلك عن طريق أوليات مارستها الإدارة الأمريكية، فمن الواضح أن الولايات المتحدة الأمريكية دفعت مبالغ طائلة مشاركة مع المملكة السعودية ونقلت أسلحة من مصر إلى باكستان لدعم مجموعات اسلامية ضد الاتحاد السوفييتي المحتل لافغانستان، واستمر ذلك من عام ١٩٨٠ وحتى عام ١٩٨٩ موعد بدء انسحاب السوفييت من أفغانستان، وفي تلك الفترة أوجدت المخابرات المركزية الأمريكية لها مكتب معروف في مدينة بيشأور الباكستانية القريبة من مدينة قندهار الأفغانية بغية متابعة نشاط الجماعات وانجازاتهم، وبعد عام ١٩٨٩ أوقفت الولايات المتحدة مساعداتها لقادة المجاهدين، إذ صار الهدف هو ترك الساحة الأفغانية والقاء تبعاتها على الآخرين واسترجاع الأسلحة التي قدمتها للأفغان وخاصة صواريخ (ستنكر)، وما يهمها هو تقوية روابطها السياسة والاقتصادية مع بلدان وسط آسيا.

بانتهاء الدور السوفييتي في المنطقة وتقليص نفوذه في الشرق الأوسط وتخليه عن حلفائه من العرب، سادت العالم فوضى النظام العالمي الجديد وفي محصلته قياده، أمريكا للعالم وأن يكون القرن الحادي والعشرين قرناً أمريكياً دون منازع، تطوف فيه العقلية الأمريكية على الجميع، سياسة مجانبة للحق تنصر فيها الظالم وتحكم المظلوم، تقهر وتمقت كل ما يمت للعرب والاسلام من صلة ليس لديها ثقة بأقرب أصدقائها ويقول (أشوك اجاروك) وهو خبير في السياسة الأمريكية في جامعة (جواهر لال نهرو) في نيودلهي أن الخوف من خطر اسلامي هو الذي يتحكم أساساً بالسياسات الدولية للولايات المتحدة حتى في هذا الزمن وهذا العصر، ووجدت الولايات المتحة في الهند اسنجاماً مع موقفها المتشدد تجاه حركة طالبان في أفغانستان وخوفها من تعاظم الحركات الإسلامية في العالم شريكاً مناسباً وجاهزاً لإقامة قاعدة لها في منطقة

جنوب آسيا " وفي هذا السياق يرى د.لاري جودسون أستاذ العلوم السياسة في الجامعة الأمريكية بواشنطن" أن الولايات المتحدة تنظر إلى الهند على أنها حجر الزأوية للستراتيجية الأمريكية " في جنوب أسيا ، لما تمثله من ثقل في مواجهة الصين ومن تأثير في المنطقة فضاً عما تبشر به من فرص للاستثمارات الأمريكية في أسواقها الواسعة ".

خلال فترة التسعينات بدأت سلسلة من أعمال التفجيرات في أماكن متباينة من العالم، وأطلقت عليها الولايات المتحدة والغرب المسيحي صفه (الارهاب)، فصار هدف مواجهة الارهاب هدفاً قومياً للعديد من دول العالم ومنها الولايات المتحدة، بعدما عانت من انفجار مركز التجارة العالمي، وانفجار اكلوهوما وسفارتيها في كينيا وتنزانيا عام ١٩٩٨ وفيها اتهمت الولايات المتحدة تنظيم القاعدة (وأسامة بن لادن) بأنه وراء تلك التفجيرات وينبغي محاربته وعدم إيوائه[١].

وبعد تفجيرات (١١) أيلول في الولايات المتحدة أصبح (بن لادن) وتنظيمه من جملة الأهداف المرسومة في استراتيجية الولايات المتحدة، وبسبب إيوائه من قبل حركة طالبان في أفغانستان، فإن قتل وتشريد شعب مسلم فقير ليس بمشكلة طالما أنهم يحملون أفكاراً إسلامية، وبذلك أصبح مجاهدي الأمس أعداء أمريكا اليوم.

---

(١) د.ثامر كامل محمد، عاصفة الابراج، بيت الحكمة، العدد ٢٩، أيلول ٢٠٠٢ (مقال).

أمريكا تصل إلى نفط أسيا الوسطى قبل روسيا

في مركز بحوث العولمة في كندا عرض كتاب ألفه اثنان من محللي المخابرات الفرنسية هما (شارل بريسارد) (وغيوم داسك) يقول الكاتب (شاي كومار) أن المصلحة الأمريكية الأساسية في الحرب على أفغانستان قد تكون النفط وليس الإرهاب، ويقولان أن الإدارة الأمريكية قد أعاقت مجرى التحقيقات في النشاطات الإرهابية بعد (١١) أيلول وأن نائب مدير مكتب التحقيقات الفدرالي (جون أونيل) قد استقال في تموز احتجاجاً على إعاقة مجرى التحقيقات، ويرى الكاتبان أن (بوش) لجأ إلى هذا الأسلوب بتأثير من الشركات النفطية الأمريكية.

فقبيل أحداث (١١) أيلول كانت الإدارة الأمريكية ترى في نظام طالبان مصدر استقرار في آسيا الوسطى، وسيكمن ذلك في بناء خط أنابيب نفط عبر أسيا الوسطى من حقول النفط الغنية في تركمانستان وأوزبكستان وكازاخستان عبر أفغانستان وباكستان إلى المحيط الهندي.

هناك حقائق مهمة عن الكيفية التي يرتبط بها النفط بتدخل الولايات المتحدة منذ أمد طويل في آسيا وآمالها في الوصول إلى ثروات النفط والغاز في المنطقة، ومن الواضح أن النفط له رائحة في الصراع السياسي والاقتصادي المعقد في المنطقة ولأجل أن تمارس الولايات المتحدة دوراً يمثل المصالح النفطية في المنطقة المقصودة فإنها تعالج الموضوع من خلف باب الحرب على الإرهاب.

فآسيا الوسطى تتضمن كازاخستان وقرغيزستان وطاجكستان وأوزبكستان وتركمانستان وأفغانستان والباكستان وأجزاء من الهند والصين، أما حوض بحر قزوين فيتضمن بحر قزوين والبلدان المجأورة أذربيجان وإيران وتركمانستان وكازاخستان وتركيا وجورجيا)، ودول المجموعتين فيها ثروة كبيرة، ويقدر في منطقة بحر قزوين بحوالي مائتين مليار برميل من النفط (حوالي ٣/١ الكمية الموجودة في الخليج العربي). وفي آسيا الوسطى كميات من موارد النفط غير المكشوف

بضمنها (٦ ر٦) ترليون متر مكعب من الغاز الطبيعي وعشرة مليارات برميل من احتياط النقط غير المطور.. وفي تسمية الدول فإن أوزبكستان وتركمانستان هي المصدران الرئيسان للغاز، وتحتوي تركمانستان على ثامن أكبر احتياطي للغاز في العالم[١].

تحتل أفغانستان موقعاً استراتيجياً بين الشرق الأوسط وآسيا الوسطى وشبه القارة الهندية وتقع في مكان وسط من الأسواق المتامية والمربحة في الهند والصين واليابان.

أما أهمية أفغانستان حسب وجهة نظر مخططي استثمار موارد النقط، هو أن موقعها الجغرافي واعتباره طريق مرور محتمل لصادرات نفط الغاز الطبيعي من آسيا الوسطى إلى بحر العرب[٢].

وحسب ما ورد في نشرة معلومات الطاقة للحكومة الأمريكية في أيلول ٢٠٠٠، أنه في عام ١٩٩٦ حصل (كونسورتيوم) بقيادة (أونوكال) على عقد لبناء خط أنبوب بطول أكثر من ألف ميل وخط غاز طبيعي موازٍ له وبطول (٩١٨) ميل بالإضافة إلى محطة لتحميل الناقلات في ميناء (جوادان) الباكستاني المطل على بحر العرب ويقدر الدخل السنوي للمشروع (٢٥) مليار دولار والذي سيغطي تكاليفه خلال خمس سنوات[٣].... وفي سنة ١٩٩٨ ركن المشروع بعد إطلاق صواريخ كروز على معسكرات بن لادن الأفغانية.

كما أن هناك خيار آخر لنقل نفط بحر قزوين، يتمثل في أن مجموعة كبيرة من شركات النفط الأمريكية ترى ضرورة نقل النفط عن طريق الأراضي الإيرانية بوصفها أقصر الطرق إلى المحيط الهندي مروراً بخليج عمان والبحر المتوسط عبر

---

(١) دول المنطقة لم تحدد هويتها بعد، جريدة الثورة البغدادي، ١١ شباط، ٢٠٠٢، ص٤.

(٢) النفط وقود العدوان الأمريكي على أفغانستان، جريدة الثورة البغدادي ٨ شباط، ٢٠٠٢، ص٤.

(٣) محمد أبو الفضل، الصراع النفطي في آسيا الوسطى، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد ١٣١، ١٩٩٨، ص٢٧٤ وما بعدها.

تركيا، وبناءً على ذلك تم تخفيف العقوبات المفروضة على إيران للسماح بمد الأنبوب وربط تركمانستان بتركيا عن طريق شمال إيران [١].

وبالنسبة إلى روسيا واحتوائها في هذا المجال، فإن قسم من شركات النقط ترغب في نقل النفط عبرها، وأن أنابيب النقط يمكن أن تمر من (كازاخستان) وأسيا الوسطى، عبر روسيا إلى أسواق العالم، وهذا الخط محفوف بالمخاطر بسبب احتمالية عودة روسيا كقوة عالمية مناهضة للغرب[٢].

وفي عودة إلى مجريات الأحداث، وبالتحديد إلى عام ١٩٩٦، ففي ذلك الوقت بدأ التفاوض بين الشركات الأمريكية وحركة طالبان، وعندما قيل لشركة (يونيكال) " أن حركة طالبان حركة قمعية، رجعية وإرهابية، قال المتحدث باسم الشركة (مايك تاتشر): نحن شركة نفط وغاز، وسوف نذهب إلى حيث يوجد النفط والغاز" وفعلاً بدأت سلسلة من المفأوضات بين الشركات الأمريكية وحركة طالبان، إلا أن حادث تفجير السفارتين الأمريكيتين في تنزانيا وكينيا أوقفا هذا التعأون[٣].

ولا بد من التنويه بأن الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن بدأ عمله في تجاره النفط في تكساس، وأدار (ديك تشيني) ناب الرئيس شركة (هاليبرتن) النفطية، وكانت (كونداليزا رايس) مستشارة الرئيس للأمن القومي، تعمل في مجلس إدارة شركة (شيفرون)، ويدرك الثلاثة أهمية النفط في تحريك الصناعة، ويذكر (تشيني) عام ١٩٩٨ " أن البروز المفاجئ لمنطقة بحر قزوين كعامل استراتيجي مهم ليس له مثيل في التاريخ[٤]. وضمن الإطار ذاته قال في محاضرة ألقاها في معهد (كاتو) للدراسات " لقد شاء الله أن يضع الغاز والنفط في بلدان متنوعة وسوف يتعين علينا أن نذهب حيث

---

(١) محمد أبو الفضل، المصدر نفسه، ص٢٢٧ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٧٩.

(٣) النفط وقود العدوان الأمريكي على أفغانستان، المصدر السابق، جريدة البغدادي، ص٤.

(٤) النقط وقود العدوان الأمريكي على أفغانستان، المصدر السابق، ص٤.

يوجد النفط والغاز بصرف النظر عن رأينا في النظام الذي يحكم الدول التي يوجد فيها[١].

تقدر واشنطن ثروات آسيا الوسطى النفطية بنحو خمسة عشر مليار برميل نفط وتسع تريلونات قدم مكعب من الغاز وذلك تحت أرض أربعة دول هي أذربيجان كازاخستان تركمانستان، أوزبكستان[٢].

وهناك مخازف روسية واسعة بعد الحملة على أفغانستان من التوسع الأمريكي على حدودها، ولعل ما يربك عمل القيادة في موسكو، التقارير الكثيرة التي تشير إلى عزم حلف الناتو من التوسع باتجاه آسيا الوسطى وأن حراسة أنابيب نفط بحر قزوين سيوكل إلى القوات الأمريكية المتواجدة في قاعدة (انجرليك) التركية، وهذا ما جعل موسكو ترفض تقسيم بحيرة قزوين بن الدول المطلة عليه، وتسعى إلى جعله بحيرة داخلية دون جعلها مياه إقليمية[٣]. وتشير صحيفة أورنيت بريس (Orient Press) في مقال مطول اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً واختتمت الصحيفة مقالها "لن نترك آسيا الوسطى" [٤]. أي أن الأمريكان لن يتخلوا عن النفط في بلدان أسيا الوسطى.

---

(١) المصدر نفسه (أنابيب نفط تحت الصراع الأفغاني)، ص٤.

(٢) النفط وقود العدوان الأمريكي على أفغانستان (تقرير) جريدة الثورة البغدادي، ٨ شباط، ٢٠٠٢، ص٤.

(٣) الكيان الصهيوني يخطط لاستقطاب أسيا الوسطى، تقرير، جريدة الثورة ٨ شباط، ٢٠٠٢، ص٤.

(٤) الأمريكيون لن يتركوا أسيا الوسطى، تقرير (جريدة الثورة البغدادي)، ٨ نيسان، ٢٠٠٢، ص٤.